مجلة علوم الإنسان والمجتمع...ISSN:2253-0347 | المجلد 08 / العـــدد: 01 (2019)، ص 337– 356

حقوق الطفل في الإعلام بين الاستمالة والإقناع

Child rights in the media between grooming and persuasion

د. محمد بن قطاف [1]، د / مراد ميلود [2]

[1] جامعة المدية، الجزائر، Mail :benguettafmohamed@yahoo.Fr

[2] جامعة قسنطينة 2، Mail :moloudmourad@yahoo.Fr

تاريخ الاستلام: 2018/10/31 تاريخ القبول: 2019/02/24

المؤلف المرسل: بن قطاف محمد، الإيميل: ismailchemakhi88@gmail.Com

الملخص:

تأتي وسائل الإعلام المعاصرة في مقدمة قنوات الاتصال التي تزود الطفل بالأفكار والمعلومات وتحقق له التسلية والمتعة، ولو لم يَسْعَ الطفل إلى وسائل الإعلام فإن هذه الوسائل سوف تسعى هي إليه لتقدم له ما يدور حوله من أحداث، فأصبح طفل اليوم أسيراً لهذه الوسائل تحاصره في كل وقت وفي كل زمان، فلا يستطيع الفكاك منها أو الحياة بدونها.

وفي هذا السياق تأتي هذه الورقة البحثية لبحث واقع هذا الإعلام المتخصص، وذلك وفق رؤية نفسية إسلامية لإعلام الطفل، وتعمل هذه الدراسة على تقييم واقع حقوق الطفل في الإعلام الموجه له وفق رؤية نفسية إسلامية وكذا تقديم مجموعة من المقترحات الحقوقية تبعا لهذا الالتزام الفكري الإسلامي، علها تسهم في وضع الضوابط وتحديد الهدف ومواجهة التحديات.

الكلمات المفتاحية: حقوق الطفل؛ الإعلام ؛ الاستمالة ؛ إقناع.

Abstract:

The modern media is considered at the forefront of communication channels that provide the child with ideas and information and check his entertainment and fun , even if we assume that the child did not go to the media , this means you will go to him to give him what is going on around him of events , bringing a child today captivated this means blockaded in all At the time all the time , he cannot escape them or life without it.

In this context, this paper is to discuss the reality of the media specialist , and that according to the vision psychological Islamic to inform the child , and works of this study to assess the reality of children's rights in the media directed to him in accordance with the vision of psychological Islamic as well as providing a range of proposals rights according to this commitment Islamic intellectual , perhaps contribute to the development of controls and determine the target and meet the challenges .

Keywords: Child Rights; media; Grooming; Persuasion

مقدمة:

ازداد اهتمام المراكز البحثية والدوائر الجامعية بالبحوث العلمية التي تحفل بالطفل في هذا العالم، وتنوعت هذه البحوث ما بين بحوث بيولوجية وبحوث نفسية وأخرى تربوية وذلك بهدف تحديد احتياجاته ومعرفة رغباته، واستكشاف ملكاته، وتحديد مهاراته،

واستثمار قدراته وتوظيف طاقاته، وحل مشكلاته وبناء مستقبله، والقيم والمثل التي يجب غرسها في نفسه.

وتشير الدراسات العلمية في هذا الصدد إلى أن أجهزة الإعلام تلقي بظلالها على الطفل المعاصر إيجاباً أو سلباً، حتى أنه يصعب عليه أن يفلت من أسرها، فهي تحيط به إحاطة السوار بالمعصم وتحاصره من مختلف الجهات، وبمختلف اللغات، ليلاً ونهاراً... وتحاول أن ترسم له طريقاً جديداً لحياته، وأسلوباً معاصراً لنشاطه وعلاقاته، ومن ثم فهي قادرة على الإسهام بفاعلية في تثقيفه وتعليمه، وتوجيهه، والأخذ بيده إلى آفاق الحياة [1].

وتأتي وسائل الإعلام المعاصرة في مقدمة قنوات الاتصال التي ترفد الطفل بالأفكار والمعلومات والأنباء وتحقق له التسلية والمتعة، ولو لم يَسْمَع الطفل إلى وسائل الإعلام فإن هذه الوسائل سوف تسعى هي إليه لتقدم له ما يدور حوله من أحداث، وما أفرزته الأدمغة البشرية من اكتشافات ومعارف، لاسيما بعد أن فرضت التقنيات المعاصرة وثورة المعلومات نفسها عليه، فأصبح طفل اليوم أسيراً لهذه الوسائل تحاصره في كل وقت وفي كل زمان، فلا يستطيع الفكاك منها أو الحياة بدونها. [2]

ويكشف الواقع المعاصر أن برامج الأطفال في أجهزة الإعلام بالبلاد الإسلامية تفتقر إلى التخطيط العملي والكوادر المبدعة مما أدى إلى الاعتماد بشكل مكثف على برامج الأطفال الأجنبية التي تحمل من المفاهيم والمعاني ما قد يؤثر بالسلب على عقل الطفل ووجدانه، وقد يهدم قيماً تكون هذه الدول قد أنفقت الكثير لغرسها في كيانه. [3].

وفي هذا السياق تأتي هذه الورقة البحثية لبحث واقع هذا الإعلام المتخصص، وذلك وفق رؤية نفسية إسلامية لإعلام الطفل، وإذا كانت بحوث الإعلام المعاصرة في العالم الإسلامي قد حفلت بدراسة تأثير وسائل الإعلام على مختلف المستويات التعليمية والطوائف المهنية، والفئات العمرية، إلا أن نصيب الأطفال من هذه الدراسات كان متواضعاً إلى حد كبير، وذلك إذا ما قارناها بالدراسات التي أجريت على الشرائح الجماهيرية الأخرى، وهو نصيب لا يتفق أبداً مع مكانة الطفل في المجتمع الإسلامي المعاصر، وحتى بعض الدراسات المتواضعة التي أجريت حول إعلام الطفل المسلم لم تربط

بينها وبين الفكر الإسلامي، ولم تحفل بهذا المنحى، ولكنها اعتمدت على المعطيات الفكرية العامة.

وقد نجم عن ذلك غياب إستراتيجية إسلامية لإعلام الطفل، فلا نكاد نجد في أي من أجهزة الإعلام في العالم الإسلامي فلسفة محددة الملامح، واضحة المعالم، للبرامج الإعلامية التي تتناول قضايا الطفولة، بل إننا نلحظ أن هذه الأجهزة كثيراً ما تتخبط في تناولها لهذا الموضوع دون أن تصل إلى رؤية فلسفية تستند إليها وترسم لها الطريق وتحدد لها الأهداف. (1)

وتعمل هذه الدراسة على تقييم واقع حقوق الطفل في الإعلام الموجه له وفق رؤية نفسية إسلامية وكذا تقديم مجموعة من المقترحات الحقوقية تبعا لهذا الالتزام الفكري الإسلامي، علها تسهم في وضع الضوابط وتحديد الهدف ومواجهة التحديات.

أولاً : ثورة الاتصال بالجماهير وإعلام الطفل:

لقد تطورت وسائل الاتصال مع نهاية القرن العشرين تطوراً كبيراً، وانتشرت انتشاراً واسعاً، وأصبحت قوة طاغية ومؤثرة في حياة الإنسان المعاصر، حتى أنه أصبح من الصعب عليه أن يقضي يومه دون أن يقرأ كتاب، أو يطالع دورية، أو يستمع إلى فقرة إذاعية، أو يشاهد برنامجاً تليفزيونياً، أو يتابع حملة صحفي، أو يشهد فيلماً سينمائياً. (3). وقد حققت وسائل الاتصال الجماهيري قوة جذب وإبهار أصبح معها من الصعب التمييز بين تأثير الوسيلة وتأثير الرسالة كما يؤكد مارشال ماكلوهان في كتابه الشهير: The Medium is the Message).

وتشير كافة الدلائل والبراهين على الأهمية البالغة والمكانة الكبيرة التي يحتلها النشاط الإعلامي في حياة الطفل، لا سيما بعد أن أصبح هذا المشاط جزءاً رئيساً من الحياة اليومية له، فلم يعد الطفل المعاصر يستطيع الحياة دون أن يتعامل مع وسائل الاتصال التي تحيط به، وتفرض نفسها عليه، بصورة أو بأخرى. (1)

وقد مكنت ثورة الاتصال المعاصرة لهذه الوسائل من الوصول إلى ملايين الأطفال في نفس اللحظة، وغدت الدنيا كلها في متناول أبصارهم وأسماعهم، ولم يعد الإعلام يقتصر

على شريحة عمرية معينة، أو فئة خاصة منهم، أو ينحو إلى تقديم معلومات تخص طائفة دون أخرى، ولكنه أصبح قادراً على التوجه إلى كافة الأعمار، وجميع المستويات أينما كانوا وحيثما يكونون. (4)

وتلعب التكنولوجيا المعاصرة في وسائل الاتصال ونظم المعلومات دوراً كبيراً في إحداث تغييرات جوهرية على حاضر هؤلاء الأطفال ومستقبلهم أردنا ذلك أو لم نرد، وتترك هذه التغييرات آثاراً بارزة على البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يعيشون فيها. لا سيما بعد أن حملت لنا الاكتشافات الحديثة والبحوث المعاصرة معطيات تقنية؛ ووسائل إلكترونية؛ وأساليب إعلامية، لم تتح للأجيال السابقة، وهذه الفنون والأساليب إذا أحسن توظيفها فإنها يمكن أن تسهم في تحقيق السعادة والرفاهية لهم. (3).

وهذا يعني أن وسائل الإعلام قد أصبحت تؤدي دوراً على درجة كبيرة من الأهمية للأطفال في المجتمع المعاصر، ومكنت للتدفق الإعلامي من أن ينساب بتلقائية ويسر إلى أي مكان يوجد فيه أطفال، حتى إن ما يدور في أقصى الشرق أصبح يسمعه ويراه أطفال الغرب في نفس الوقت. الأمر الذي ييسر لهم أحسن فرص التعليم والتثقيف والترفيه، ويقدم لهم المعلومات العلمية والحياتية، والخبرات العملية والتجارب المعملية الواسعة، الأمر الذي لا يمكن تحقيقه بأية طريقة أخرى، كما يساعدهم على تقديم المستجدات العصرية، ويؤدى إلى الإحساس بالألفة بينهم وبين المادة المعروضة عليهم. (4)

وقد استطاعت هذه الثورة التي تم إحرازها في تقنيات العمل الإعلامي من أن تشد إليها أطفال العالم شداً، وتغريهم بما تقدمه لهم من أعمال درامية، وقوالب حوارية، وفنون إخبارية وفقرات ثقافية وترفيهية تجذب انتباههم وتستلفت اهتمامهم بطرق الجذب وأساليب الاستمالة وفنون الإقناع، وقد أضافت القنوات الفضائية وأقمار الاتصالات وثورة المعلومات بعداً جديداً للنشاط الإعلامي، وأحاطت الأطفال من كل جانب بالعديد من روافد الفكر ومصادر المعرفة. (1)

وفي الوقت الذي كشفت فيه البحوث والدراسات العلمية المختلفة عن أن هذه الوسائل أصبحت من أقوى أسلحة العصر، وتتفوق على كل روافد الفكر ومصادر المعرفة

الأخرى، فإننا نسمع أصوات تهاجمها، وتطالب بعدم تعامل الأطفال معها بدعوى ما تحمله من السلبيات يفوق ما تحمله من إيجابيات. وفى الحقيقة أن هذا يعد نوعاً من العجز وسوء الفهم بل والجهل بمعطيات العصر الذي نعيش فيه، لأن كونها تحمل شراً أو خيراً، فهذا أمر تحكمه السياسات والخطط الإعلامية، والمشكلة تكمن في غياب التخطيط العلمي والاستفادة بالإمكانات الكبيرة لهذه الوسائل، ومن ثم فلا ينبغي أن ننفق الوقت في الهجوم عليها وتوجيه اللعنات لها، ولكن علينا أن نشحذ الهمم ونجرى الدراسات ونضع الخطط المناسبة للتعامل الصحيح مع هذه الوسائل لأنه أصبح من المستحيل تجاهلها، ولم تعد هناك جدوى من الهروب من شن الهجمات عليها. (3).

لقد أصبحت وسائل الإعلام الحديثة تطغى وتسيطر على اهتمامات الأطفال، وأخذت تلقي بشباكها على الجيل المعاصر، وتملأ ساعات فراغه، بل وساعات نشاطهم بالكثير من الأفكار والمعاني، لأنها تنهال عليهم بكم هائل من الصور المتلاحقة، والأصوات المتعاقبة التي تحيط بهم من كل جانب فلا تدع له مجالاً للتأمل والتفكير والمراجعة، فلا يملك الطفل معها القدرة على التمييز والاختيار، يخشى معه أن يسقط الطفل في دوامة تسير به إلى حيث أريد له، ويعتبر في النهاية أن كل ما شاهده وسمعه حقيقة لا مجال للشك فيها.

وما نسمعه أو نقرأه عن حوادث مريعة كسقوط بعض الأطفال من أماكن مرتفعة وهم يقلدون أبطال أفلام الكرتون والمسلسلات وممارساتهم الشاذة مع ذويهم ورفاقهم ما هو إلا نموذجاً لسيطرة البرامج التي تقدمها هذه الوسائل على تفكير الأطفال ومشاعرهم ، فلا يجدون مناصاً من تقليدها. إلا أن الحديث عن تأثير الإعلام لا يجب أن يتم بمعزل عن الإطار الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه الأطفال، ذلك أن عملية إعلام الطفل تتأثر بمجموعة العوامل الفردية والنفسية التي تتعلق بشخصيته واستعداداته واحتياجاته، كما تتأثر بمجموعة العوامل الاجتماعية التي تحيط به كالقيم والعادات والتقاليد، والجماعات التي ينتمي إليها . (4)

وقد كشفت لنا الأبحاث العلمية عن المقدرة الإقناعية الخاصة التي تتميز بها كل واحدة من وسائل الاتصال، أي أن القدرات الإقناعية لمختلف الوسائل تختلف بشكل

واضح من وسيلة إلى أخرى وفقاً للموضوع الذي تعالجه، والجمهور الذي تتوجه إليه، والبيئة الاجتماعية والثقافية. إلا أن الجمع بين أكثر من وسيلة يحقق تأثيراً فاعلاً، ويضاعف عدد المزايا، ويمكن عملية الاتصال من تحقيق أهدافها. (3).

ولم يعد الحديث عن وجود مردود لهذه الوسائل على الطفل موضع جدل أو نقاش، ولكن الجدل والنقاش يدور حول كمية هذا التأثير ونوعه، وهل هو تأثير إلى الأحسن أو إلى الأسوأ. (1)

ويتوقف نجاح النشاط الإعلامي الموجه إلى الأطفال على حسن اختيار الوسيلة والوقت والظرف الاتصالي المناسب، المهم هنا هو كيفية استثمار معطيات هذه الوسائل لكي تسهم في تحقيق النمو المتكامل للطفل المسلم. (2)

وهذا يتطلب التنسيق بين الوسائل المباشرة والوسائل غير المباشرة لتحقيق الأغراض المستهدفة من العمل الإعلامي الموجهة للأطفال، بل يجب أن تتناغم وتتوافق هذه الوسائل جميعها لكي تؤدي كل واحدة منها المسئولية المنوط بها في إعلام الطفل المسلم على الوجه الأكمل، فلا يمكن الاستغناء بالوسائل الإلكترونية الحديثة عن الوسائل التقليدية القديمة، فلكل منها دور محدد، ومجال معين، ووقت معلوم. (4)

وتأسيساً على ذلك فإننا نستطيع أن نؤكد أن وسائل الإعلام الحديثة كالكتاب والصحيفة والراديو والتليفزيون والسينما تستطيع الاضطلاع بأدق المهام وأخطر الأدوار في بناء الطفل المسلم لما تتمتع به من التنوع والتعدد وسعة الانتشار، والقدرة على الوصول إلى هؤلاء الأطفال في أي وقت وفي أي وضع وفي أي مكان، بعد أن أصبحت هذه الوسائل تؤدي دوراً رئيسياً في نشر الأفكار العصرية، وإشاعة المعلومات الحديثة المتصلة بنهضة الأمة وخلق الشخصية الجديدة. (4)

ثانياً: دور وسائل الاتصال في حقل الطفولة

1. الاتصال ألمواجهي: كشفت الدراسات العلمية أن لكل وسيلة اتصال مقدرة خاصة على الإقناع تختلف باختلاف طبيعة هذه الوسيلة وطبيعة الجمهور المتلقي. إلا أنه كلما ازداد الطابع الشخصي للوسيلة الإعلامية ازدادت قدرتها على التأثير، ويرجع ذلك إلى أن

وسائل الاتصال ألمواجهي أكثر قدرة على الإعلام والإقناع، لأن وسائل الاتصال الجماهيري قد لا تستطيع تحقيق التفاعل والتناغم بين القائم بالاتصال والمستقبل للرسالة، إضافة إلى أن الرسالة تحملها عبر وسائل الاتصال الجماهيري قد تصل مشوهة أو مغلوطة، كما أنها قد تسهم في دعم الاتجاهات السلبية، لأنها تعمل من خلال مؤثرات وسيطة خارجة عن ظروف الاتصال ويأتي الاتصال الشخصي في مقدمة هذه المؤثرات. (3).

ومن ثم إن وسائل الاتصال الجماهيري لا تستطيع أن تحل محل وسائل الاتصال ألمواجهي في إعلام الطفل والتأثير في فكره ووجدانه، لأن الوسائل الإلكترونية الحديثة وإن كانت تتميز بالسرعة الفائقة في نقل الحدث وفي نشره ، إلا أن مرحلة الإقناع تتطلب المواجهة المباشرة لكي تؤدى دوراً فاعلاً في الاستمالة والجذب. وهذا يعني أن وسائل الاتصال ألمواجهي Face to face communication تتبوأ مكانة مميزة في إعلام الطفل، فلن تستطيع الإذاعة أو التليفزيون أو الصحف أن تقدم المثل وترتقي بالسلوكيات وتعلم المهارات بنفس الفاعلية التي يمكن أن تحققها الاتصالات المواجهة بين الأطفال والكبار. (5)

إضافة إلى أن وسائل الاتصال ألمواجهي تتميز بانخفاض تكلفتها وسهولة توظيفها، إذ أن اللقاءات الجمعية التي تتم مع الأطفال لا تكاد تتكلف شيئاً سوى إعداد المكان، وإجراء الترتيبات اللازمة لهذه اللقاءات، في حين أن تكاليف إنتاج برنامج تليفزيوني أو فيلم سينمائي أو صحيفة متخصصة يتطلب الكثير من الوقت والمال والجهد. (2)

2. الوسائل المطبوعة: تعد الوسائل المطبوعة من أقدم وسائل الاتصال الجماهيرية، وتعتمد على الكلمة والرمز والرسم ... إلخ، وتتميز هذه الوسائل بأنها تمكّن الطفل القارئ من التعرض لمضمونها وقتما يشاء وفي الوضع الذي يريد، وتسمح له بحرية أكبر في التخيل والتحليل والتفسير ومن أبرز هذه الوسائل الكتاب والصحيفة والدورية.

الكتاب: ويأتي الكتاب في مقدمة هذه الوسائل، فهو يشكل ركيزة أساسية من ركائز المعرفة رغم منافسة وسائل الإعلام الأخرى له، ويقدم المعارف الجادة المدروسة التي يمكن الرجوع إليها أكثر من مرة للتثبت من المعلومات التي يتضمنها والمعالجات التي يشتمل عليها. (6)

ومن مواصفات الكتاب أنه يخاطب الذهن، فالطفل وهو يطالع الكتاب يحاور نفسه، يأخذ ويعطى، ويتفاعل مع الكتاب، ومن هنا يأتي اهتمام الدول المتقدمة بكتاب الطفل، لكي يسهم في صياغة شخصيته، وإعطائها الاحتياجات الأساسية اللازمة للمعرفة والنمو والتعامل السليم مع القضايا التي تناسبه وتكتنف حياته. (2)

وتكمن المشاكل التي تواجه كتب الأطفال في عدم قدرته على إيصال المادة المكتوبة إليهم لأن هذه المادة قد لا تتناسب مع المخزون المعرفي واللغوي والقدرات الاستيعابية للطفل القارئ، وقد لا تتلاءم مع مرحلة معينة من المراحل العمرية ، لأن لكل مرحلة خصائصها اللغوية والفكرية والنفسية (4)

الجريدة: والصحافة بصفة عامة وسيلة هامة من وسائل الاتصال في المجتمعات الإنسانية المعاصرة، وهي من أقرب هذه الوسائل مصداقية اذا ما قورنت بالتكنولوجيات الحديثة التي تبث كم هائلا من المعلومات غير موثقة المصدر، ومن ثم فيفترض فيها أن تكون الأكثر تأثيراً في صياغة آراء الأطفال، وبلورة أفكارهم، وبناء تصوراتهم وتوجيه سلوكياتهم. (6)

ويتوقف نجاح المادة الصحفية الموجهة للأطفال على مدى توافر القدرة على إعدادها، والقدرة على تحوليها إلى موضوعات نابضة بالحياة والجاذبية، ثم التحول بها إلى لوحة فنية ذات جمال ومعنى تناسب استعدادات الأطفال، وتيسر لهم القراءة. وتنمى قابليتهم على التذوق الفني، وتساعدهم على تكوين صورة ذهنية إيجابية ، على أن يتم اختيار المادة الصحفية وإخراجها وفقاً للمعايير الفنية والسيكولوجية والفسيولوجية التي تناسب الطفل.

ولكي تحقق هذه المادة فاعليتها فإنها لا بد أن تستمد موضوعاتها من بيئة الطفل وواقعه وقيمه وميوله، وتعبر عن مطالبه، وتتوافق مع نمط الثقافة السائدة في مجتمعه، دون ما تعارض أو تناقض. على أن تكون هذه المادة شاملة متنوعة الأغراض والأهداف، تنطوي على العديد من الألوان الأدبية كالقصة والمقالة والتحقيق والحديث والصور المعبرة، دون إقحام هذه المادة بطريقة منفرة، وأسلوب جامد غير مناسب لطبيعة الطفل وتكوينه الفسيولوجي والسيكولوجي. (4)

والمادة الصحفية الموجهة إلى الطفل لا بد أن تشعره بالراحة والبهجة، وتحترم ذاته، وتسلحه بالقيم والأخلاق التي تساعده على مواجهة متطلبات حياته ومستقبله على أن تحفل المعالجة الصحفية بالقصص التربوية، وتتجنب الخوض في الخرافات والميتافيزيقيا لأنها عسيرة الفهم على الأطفال لكونها ترتبط بالأفكار المجردة، وأن تتجنب القصص البوليسية المترجمة التي تغرق أذهانهم بعالم مشحون بالعنف، وأعمال القتل والجريمة وسفك الدماء.

ومن المهم أن يتم اختيار المادة الصحفية بالتنسيق مع خبراء الصحافة وعلماء التربية والتعليم، وأن يتم إشراك الأطفال في الكتابة والتعبير عن أنفسهم؛ لأن هذه المشاركة تؤدي إلى الربط بينهم وبين المادة الصحفية، وتحقق ذواتهم وتشعرهم بالرضا والغبطة والسعادة . (2)

الوسائل السمعية: (الإذاعة). وهي الوسائل التي تخاطب حاسة السمع، وتعتمد على عنصر الصوت وحده، وتحتل الإذاعة مكانة مرموقة بين أجهزة الإعلام الأخرى على الرغم من التحدي الذي تواجهه من التلفزيون والفيديو. ولما كانت مهمة الإذاعة قد وصفت بأنها أصبحت أداة عرجاء، إلا أن الواقع يؤكد بعد ظهور التليفزيون أنه إذا استخدمت الإذاعة بكفاءة فإن برامجها سوف تصبح أداة سحرية في استمالة الأطفال وتوجيههم. وقد بلغ الأمر بالمتحمسين للإذاعة إلى القول أنها يمكن أن تكون أشد تأثيراً من التليفزيون، وأرجعوا أسباب عزوف الأطفال عن برامج الراديو وإعراضهم عنه لا يعود إلى خلل في الإذاعة كأداة اتصال، بل يرجع إلى عدم استثمار قدراتها الكبيرة بالشكل والصورة السليمة في مخاطبة الأطفال. (4)

والراديو هو وسيلة الاتصال العالمية التي تستطيع مخاطبة كافة الأعمار مهما اختلفت درجات تعليمها أو مستوياتها الثقافية، ومن ثم فإنه أقدر على التوجه إلى الأطفال في أي وقت وفي أي مكان، إضافة إلى أنه لا يتطلب تفرغاً كاملاً لمتابعة برامجه ، ويتميز الراديو بقدرته على جذب الطفل، والاستحواذ على اهتمامه من خلال المؤثرات الصوتية والموسيقي والحوار، إضافة إلى قدرته على تحقيق مشاركة الأطفال الجماعية في الاستماع لبرامجه (7).

ويمكن للبرامج الإذاعية الموجهة أن تسهم إسهاماً بليغاً في البناء الفكري والوجداني للطفل المسلم وذلك من خلال:

أ) استخدام القالب القصصي حيث توضح الأفكار والمعلومات علي شكل حكاية درامية مشوقة تشجع الأطفال على متابعتها بشغف ورغبة.

ب) استخدام عالم الخيال العلمي الذي يهتم بالمحسوسات الكونية، عن طريق تدريب ملكات الطفل على كيفية التعامل مع عصر الفضاء والكواكب والآلات الحديثة والإلكترونات، وبذلك تتفتح مداركه بصورة صحيحة ويتفاعل مع مجتمعه، ويشب على استخدام وسائل العصر بأيسر الطرق وأفضلها.

ج) استخدام القصة والحوار في عرض سير الأنبياء والرسل والمصلحين نظراً لما تحتويه من قيم واتجاهات إيجابية يمكن تنميتها لديهم.

د) استخدام الإذاعة كوسيلة لبث آيات القرآن الكريم وتفسيرها وربطها بالواقع الذي يعيشه الطفل.

هـ) استخدام القصص التي تحض الأطفال على الشجاعة والمخاطرة والاستكشاف والبحث والتنقيب والسلوكيات الاجتماعية المرغوبة.

و) زيادة الحصيلة اللغوية للطفل، وتنمية بعض العادات والقيم والاتجاهات لديه، بالإضافة إلى المعارف والعلوم المتنوعة التي يمكن أن يكتسبها. ومن هنا وضعت الأسس والشروط والمواصفات التي يتم بموجبها اختيار برامج الإذاعة الموجهة إلى الطفل لتأخذ في اعتبارها طبيعة الأطفال، ومراحل نموهم المختلفة، وتساعدهم على صياغة أفكارهم وتنمية ملكاتهم وإثارة خيالهم وتغرس الشجاعة والفضيلة في نفوسهم . (2)

الوسائل السمعية البصرية (التليفزيون): وتشتمل على الوسائل التي تجمع بين الصوت والصورة والحركة: يأتي التليفزيون في مقدمة هذه الوسائل، وفي الحقيقة أن التليفزيون هو الجهاز الساحر الذي أطاح بكل الموازين، وحول الحلم إلى حقيقة، حتى أصبح يغزو مجتمعاتنا المحلية والعالمية، مقتسماً معنا أوقات حياتنا. مؤثراً بالسلب والإيجاب على أفكارنا

وسلوكياتنا، لأنه يسيطر على حواس الإنسان، سيطرة تجعله يبدو وكأنه مسلوب الإرادة. (1)

وينفرد التليفزيون بخصائص غير موجودة في غيره من وسائل الإعلام الأخرى فأصبح يكاد يكون هو الرائد والمعلم والقدوة الذي تدور على وقعه حياة الأطفال، وترتبط به تفسيراتهم للأحداث، ويبقي ذلك الجهاز الصغير كالسر المغلق، نسخط عليه أحياناً، ونرضى عنه أحياناً أخرى، ولكنه يؤثر في حياة أطفال اليوم ذلك التأثير المروع الخطير دون أن ندري أو نعلم كيف يتم ذلك.

والتليفزيون يتصدر وسائل الإعلام الأخرى فيما يملكه من إمكانات فنية، حتى أصبح العصر الذي نعيش فيه يسمى بعصر التليفزيون، وأصبح يطلق على الأطفال الآن أطفال التليفزيون Children of Television. (6)

وبظهور التليفزيون، تعددت الاتهامات التي تربط بين جنوح الأحداث وبين هذا الجهاز الوليد، ونسبوا إليه كل شر يظهر في المجتمع، واتفق في ذلك معظم المتخصصين في علم الاجتماع، وعلم النفس، والتربية، والصحة العامة.. إلخ، كما اتفق على ذلك أيضاً كثير من الآباء والمعلمين ورجال الدين وعلماء الإجرام وقادة الفكر. (3).

وبغض النظر عن صحتها أو عدم صحتها إلا أنه لا بد من الاعتراف بأهمية التليفزيون كوسيلة اتصال مؤثرة، فهو إذ يجمع بين الصوت والصورة والحركة واللون، فإنه يستطيع أن يسيطر على حاستين من أهم حواس الأطفال وأشدها اتصالاً بما يجرى في نفوسهم من أفكار ومشاعر، وهما حاستا السمع والبصر، وهو إذ ينقل إليهم المشاهد بكل ما فيها من معان وانفعالات، فإنه يربط بينه وبينهم، ويقدم لهم معلومات جديدة سواء في محيطهم، أو خارج هذا المحيط، ويوسع نظرتهم للحياة بأسلوب سهل وبطريقة مشوقة، ويثير الوعي والإحساس لديهم بما يدور حولهم، ويوجد دافعاً وحماساً ورغبة لديهم للمشاركة والتفاعل مع قضايا المجتمع، ويعمل على إيجاد الحلول لهذه القضايا، وتدل الأبحاث العلمية على أن تأثير التليفزيون في حالة توافره يفوق تأثير وسائل الاتصال الجماهيري الأخرى. (2)

ونظراً لأهمية دور التليفزيون في حياة الأفراد وقدرته على التأثير في سلوكيات المتلقين، فقد بلغ عدد الدراسات التي حاولت معالجة تأثير التليفزيون على سلوك المتلقين في أمريكا عام 1988 (2900) دراسة، بينما بلغت عام 1990 أكثر من (3450) دراسة. (3).

ويكفي أن نشير إلى دراسة أجرتها اليونسكو مؤخراً حول معدَّلات التعرض للتليفزيون لدى الأطفال والصبية العرب، تبين منها أن الطالب قبل أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره يقضي أمام التليفزيون اثنتين وعشرين ألف ساعة في حين أنه في هذه المرحلة من العمر يقضي أربع عشرة ألف ساعة في قاعات الدرس. (1)

إلا أنه على الرغم من مرور أكثر من خمسة وثلاثون عاماً على وجود محطات التليفزيون في العالم العربي إلا أن النجاح لم يحالفها بعد في إيجاد صناعة تليفزيونية راقية تقدم على أسس وأهداف واضحة وتسهم في البناء الصحيح للطفل المسلم وتأخذ في اعتبارها اهتمامات الأطفال، ومشاربهم وأذواقهم واحتياجاتهم وربطها بظروف المجتمعات التي يعيشون فيها. ويكفى أن نذكر ما قاله أحد الأطباء الأمريكيين في جامعة كولومبيا: >أنه إذا صح أن السجن هو جامعة الجريمة ، فإن التليفزيون هو المدرسة الإعدادية للانحراف<، وهذا يعني أن كثيراً من المجرمين تعلموا الجريمة من التليفزيون ؛ فقد أظهرت بعض الدراسات العلمية في أسبانيا أن 39 % من الشباب المنحرفين تلقوا معلوماتهم التي استمدوها في تنفيذ جرائمهم من التليفزيون . (8)

ومن الآثار السلبية لهذا الجهاز الخطير تعطيله لخيال الطفل، فالطفل الذي يشاهد التليفزيون، يستسلم للمناظر والأفكار التي تقدم له دون أن يشارك فيها، ولا يبذل أي جهد في المشاركة والقبول أو الرفض لما يراه، فالجهاز هو الفاعل وهو الناقد، ويقتصر دور الطفل هنا على رؤية ما يعرض عليه دون أن يسهم بفكره فيما يعرض عليه، فيحول الأطفال إلى متلقين سلبيين مما يتنافى مع خطط تثقيف الأطفال، بمعنى أنه لا بد وأن يشاركوا بشكل أو آخر، وأن يكونوا إيجابيين، لهم دور ما في هذه البرامج.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن التليفزيون لا يتيح للأطفال المجال لإشباع هواياتهم للقراءة وممارسة الرياضة ..إلخ، فإنه بذلك يكون قد خلق ارتباكاً في حياة الطفل، وفي برامجه الدراسية متمثلة في عدم المذاكرة والتأخر في النوم، بسبب السهر أمام هذا الجهاز، وبالتالي أدى إلى تأخره في التحصيل دراسياً، وعدم حضوره مبكراً.

إلا أن هذا الجهاز بصفة عامة بقدر ما يحمل من السلبيات فإنه يحمل أيضاً العديد من الإيجابيات من أبرزها تغذية عقل الطفل بالثقافة المتنوعة، وزيادة حصيلته اللغوية، وتعزيز استخدامه للفصحى، وفتح آفاق جديدة أمامه للتعرف على عوالم مختلفة ويمكّنه من تكوين صورة ذهنية وافية عن العالم المحيط به، ويسهم في تنشئته ويرتقي بذوقه.

ولا شك أن تحقيق هذه الفوائد، يتوقف بشكل أساسي على تصميم البرامج الهادفة التي تراعي أعمار الأطفال وأذواقهم وتتناول قضاياهم، وتقدم برامجهم بشكل جذاب، وتستبعد البرامج التي تحمل قيماً غريبة عن واقع المجتمعات المسلمة. (2)

القنوات الفضائية: أضافت القنوات الفضائية بعداً آخر في حقل الإعلام، وذلك من خلال الشبكات الدولية التي تتميز بسعة الانتشار، والقدرة على الجذب، والسرعة في توصيل الرسالة، لتسهم بدورها في تحقيق عالمية المعرفة، وإلغاء عنصري الزمان والمكان. (5)

وتشكل الأقمار الصناعية الثورة الخامسة في عالم الاتصال الإنساني بعد الثورة الأولى التي تمثلت في اكتشاف الكلمة المنطوقة، والثانية التي بدأت باختراع الكتابة، والثالثة التي تلت اختراع الطباعة، والرابعة التي نتجت عن اكتشاف وتطور الإلكترونات التي ولدت معها الهاتف والبرق والراديو، ثم أعقبها نقل الصور بخطوط المواصلات السلكية، وبعد ذلك تحركت الصورة على شاشة السينما ثم صاحبها الصوت، وجاء التليفزيون بعدئذٍ وعرض صوراً متحركة ناطقة للأحداث وقت وقوعها. (3).

وقد ساهمت الأقمار الصناعية في تحقيق التطور الذي نراه اليوم في تكنولوجيا الإعلام والمعلومات ولقد كان للتطور الكبير في تكنولوجيا الأقمار الصناعية أثره الكبير في تطور وتعدد أنواع البث الإذاعي والتليفزيوني ما بين البث من جهة إلى أخرى، إلى البث من الأقمار الصناعية مباشرة إلى مشاهدي التليفزيون في منازلهم، (9) وهو ما يشكل

خطورة كبيرة على أطفال المسلمين نظراً للاختلاف الثقافي بين مصدري هذه الخدمات في العالم الغربي ومستهلكيها في العالم الإسلامي الذين يعتزون بقيمهم وتقاليدهم، لذلك يصبح من الأهمية بمكان العمل على اتخاذ الإجراءات الجادة من أجل حماية أطفالنا من العادات الاجتماعية والمعتقدات الثقافية التي تتسرب إلى هؤلاء الأطفال من خلال هذه البرامج تاركة تأثيرات كبيرة على قيمهم وعاداتهم.[1]

شبكة الإنترنت: جاء الإنترنت ليشكل الثورة السادسة في عالم الاتصال، ويعتبر الإنترنيت أحدث التقنيات التي شهدها العقد الأخير من القرن العشرين، فهو يعمل على بث واستقبال المعلومات في شتى صنوف المعرفة من وإلى كل أنحاء العالم، وأصبحت شبكة الإنترنيت وسيلة الاتصال العالمية المفتوحة التي تربط العديد من الشبكات الفرعية برباط محكم ووثيق، فهي تسمى شبكة الشبكات ، وهو عبارة عن غرفة العمليات الرئيسية للربط بين كل كمبيوتر وآخر في جميع دول العالم لتحقيق التراسل الإلكتروني وخدمة التخاطب الجماعي، واسترجاع الملفات، وخدمة الشبكة العنقودية. [2]

ومن ثم فإن شبكة الإنترنيت هي بمثابة موسوعة علمية تقدم خدماتها لكافة المستفيدين في جميع المجالات كمجال الأبحاث العلمية، ومجال الأعمال بكل جوانبه، والمجال الحكومي بمختلف صوره وأشكاله، وقد حولت هذه الشبكة الكرة الأرضية إلى سوق واحدة في شكل جديد ومتطور، والإنترنيت سلاح ذو حدين شأنه في ذلك شأن وسائل الاتصال الأخرى، له مزايا كما أن له مساوئ على عقول الأطفال وسلوكياتهم، لأنه ينقل إلى هؤلاء الأطفال من المعلومات والمفاهيم والمعارف ما يحقق لهم الخير أو ما يهدم قيمهم، لا سيما تلك المعلومات التي تبثها المؤسسات التبشيرية والصهيونية للإساءة إلى الإسلام وأهله، إضافة إلى الغزو الفكري لعقول أطفالنا [3].

وعادة ما يكون تعامل الأطفال مع الانترنت وتقنيات الكمبيوتر أكثر سلاسة من والديهم. فالمدارس بدأت تدمج أدوات التكنولوجيا وصفوف الكمبيوتر في فصولها والعالم الضيق بدأ يتسع شيئاً فشيئاً أمام أطفالنا من خلال شبكة الانترنت. ولا زال عنصر السلامة وسط هذه البيئة المتداخلة مسألة فائقة الأهمية تشغل بال المربّين شأنهم شأن

الإعلاميين والساسة وعلماء الاجتماع وغيرهم. ولكن الحقيقة تظل أن هذه التكنولوجيا المسماة بالانترنت تحفّ بفرص التعلم والخبرات المثرية أكثر مما تحف بالمخاطر[10].

ثالثا: أصول الرؤية الإسلامية الحقوقية لإعلام الطفل

الاقتراحات:

حاولت الدراسة الحالية إبراز واقتراح مجموعة من الثوابت التي يمكن أن تشكل أساساً علمياً يتم على أساسه وضع إطار مرجعيا حقوقيا للنشاط الإعلامي المخصص للطفل بصفة عامة وتتحدد من خلاله القواعد والأصول التي تحكم الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل، وتكمن هذه الثوابت فيما يلي:

أولا: إذا كانت الفلسفة الإسلامية في إعلام الطفل تستند إلى قواعد ثابتة في العقيدة لا يجوز التغيير والتبديل فيها مهما تغيرت الأزمنة وتغيرت الأمكنة، ولكنها فلسفة متحركة غير جامدة، تقبل التطور والتجديد بما يتلاءم مع مقتضيات العصر واحتياجات الأطفال، ومتطلبات الحياة، وحسبما تمليه الحوادث وترسمه الأيام. وهذه الفلسفة لا تتوقف عند بيئة معينة أو زمان معين، ولكنها تتسع لتخاطب الناس في كل زمان ومكان، انطلاقاً من صلاحية هذه الرسالة لكل الأزمنة، وكل الأمكنة وكل الظروف والمتغيرات ، ذلك أن الإسلام قد حارب الجمود على المألوف والتقليد الذي يعمى أصحابه عن رؤية الحقيقة الثابتة. [1]

ثانيا: تؤكد الفلسفة الإسلامية على ضرورة الالتزام الأخلاقي بالضوابط التي حددتها الشريعة الإسلامية في إعلام الطفل، ويأتي في مقدمتها: الصدق مع النفس، ومع الغير فلا اجتهاد بغير معرفة، ولا فتوى بغير علم، ولا غيبة أو نميمة ولا عدوان على الآخرين أو حجر على حرياتهم، وعدم النشر بغير تمحيص وتدقيق، كما ترفض هذه الفلسفة كل أساليب النفاق، والمجاملة الممقوتة والبغيضة للكبار أو الصغار، والمبالغة في القول، أو التجاوز للحقيقة، أو إخفاءها أو التغاضي عنها، حتى ينشأ الأطفال وقد أصبحت الأخلاقيات الإسلامية جزءاً من تكوينهم الفكري والنفسي. [2]

ثالثا: تختلف الفلسفة الإسلامية في إعلام الطفل عن فلسفة النظم الثيوقراطية المقدسة، لأن القواعد التي تقوم عليها النظم الدينية (الثيوقراطية) تستند إلى أسس غير إسلامية، فالنظام الإسلامي نظام إنساني يقع فيه الخطأ والصواب، ويسمح فيه بالاجتهاد في الرأي، وعرض وجهات النظر في مختلف الأمور، وهو نظام لا يتقوقع على نفسه، ولا يقيم حاجزاً بينه وبين الناس، وتأسيساً على ذلك فلا يجوز لأجهزة الإعلام أن تتحول إلى مؤسسات كهنوتية، شأنها في ذلك شأن أجهزة الاتصال التي تعمل في خدمة الفاتيكان، والمؤسسات الدينية، أو الإذاعات التبشيرية التي تحيط نفسها بهالة من القداسة، أو التي تنغلق على نفسها وينحصر دورها في دائرة المناسك والشعائر . (1)

رابعا: إذا كان القرآن الكريم يؤكد على ضرورة الالتزام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق وبالصبر، فإن وسائل الإعلام المعنية بقضايا الطفولة تتحمل مسئولية غرس هذه المعاني في عقول الأطفال ونفوسهم حتى يشبوا عليها، ويرتووا من معينها، ويعملوا وفق معطياتها، ليكون لهم دور فعال في المجتمع، فلا يعيشوا على هامش الحياة، ويتحولوا إلى عناصر سلبية تخنع للراحة والدعة على حساب الحق والعدل. (2)

خامسا: تكفل الشريعة الإسلامية لوسائل الإعلام الحرية الكاملة في تناول قضايا الأطفال ومعالجة مشكلاتهم انطلاقاً من كفالة حرية التفكير والتعبير، وحرية الرأي والاعتقاد؛ شريطة عدم المساس بالثوابت وأركان الإسلام الرئيسية التي يجب التسليم بما جاءت به من معطيات. (2)

سادسا: تكفل الشريعة الإسلامية حق ملكية وإصدار صحف الأطفال، وإنشاء محطات إذاعية وقنوات فضائية لهم، شريطة أن تخضع هذه الوسائل لما تقرره الشريعة الإسلامية من قواعد في هذا الصدد، وعلى ألا يداخل هذه الملكية أي شكل من أشكال الربا أو الظلم أو الاحتكار، وحتى لا تحتكر الملكية والكلمة الموجهة للأطفال، وتتحول عملية إعلام الطفل إلى عمل تجاري، يهيمن عليها أصحاب النفوذ والسلطان، ورجال الأعمال والاقتصاد. (2)

سابعا: لا يزال الدور الذي تسهم به البحوث الإعلامية في إعداد وتطوير المواد الإعلامية الموجهة للأطفال محدوداً، على الرغم من الأهمية العلمية لهذه البحوث في إعداد الخطط العلمية التي تتوافق مع قدرات الأطفال، وتتلاءم مع إمكاناتهم، وتتناسب مع واقعهم الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، وتلبي احتياجاتهم، وتتناول مشكلاتهم، لا سيما وأن هذه البحوث قد أصبحت كالمصابيح التي يسترشد بها صانع القرار في العالم المتقدم. وفي الحقيقة أنه بدون إجراء دراسات علمية جادة لاحتياجات الأطفال، وعوامل التأثير فيهم، واستكشاف أفضل الوسائل المناسبة لهم، فإن البرامج الإعلامية الموجهة للطفل سوف تكون مجرد مكاء وتصدية، وقد لا تجد من يعبأ بها أو يهتم بمعطياتها. (2)

ثامنا: يأتي الحفاظ على اللغة العربية، وتقويم اللسان العربي، وتصحيح الأخطاء التي ترتكب في حق العربية، وحماية الأطفال من الانحراف بها في مقدمة الواجبات التي يجب أن تلتزم بها أجهزة الإعلام، وذلك من خلال حسن اختيار اللفظ والعبارة، وانتقاء الكلمات الصحيحة، والاهتمام بفن الإلقاء، والقدرة على النطق السليم، والحديث الصحيح، بهدف ترسيخ هذه العادة لدى الأطفال الذين يكتسبون عادات النطق وفن القول في أولى مراحل حياتهم، وتستطيع الإذاعة والتليفزيون . بصفة خاصة . الاضطلاع بهذه المهمة بصورة فعالة ؛ لأن هاتين الوسيلتين يمكنهما القيام بدور المدرسة دون التقيد بعدد محدود من التلاميذ. (2)

الخاتمة:

نستطيع أن نؤكد في ضوء هذه الدراسة أن النظرة المستقبلية لإعلام الطفل تحتاج إلى جهد مخلص منظم، وتخطيط علمي، وعمل دءوب، وصدق مع النفس، وتنسيق للجهود، وتوظيف للإمكانات المتاحة لتحقيق الغايات المستهدفة من وراء هذا العمل. إننا ونحن نتوجه إلى هذه الشريحة العمرية يجب أن نضع بذرة صالحة في تربة طيبة، وكلنا أمل في أن تنمو هذه البذرة وتزدهر وتثمر، ولن يتأتى ذلك إلا بالعمل الجاد، والفهم العميق، والتطبيق الفعال لمعطيات الإسلام في النشاط الإعلامي الموجه للأطفال، وهنا يصبح من الأهمية أن يلتقي الإعلاميون مع التربويين، وقادة الفكر وعلماء الدين، وغيرهم من الذين يعملون في مجال الطفولة بهدف رسم إستراتيجية إعلامية صحيحة للأطفال، ووضع الخطط التي توفر لهم مضامين جذابة تسهم في تثقيفهم، وتربيتهم، وتجعل منهم صناعاً صالحين لمستقبل أفضل.

ونحن نؤكد هنا أنه إذا تم الاهتمام بالتخطيط العلمي، والإدارة الجيدة، والتطبيق السليم لمعطيات الشريعة الإسلامية في حقل الطفولة، وتم إعداد برامج وفقرات وموضوعات متكاملة الأبعاد، ومتناسقة التخطيط، تستهدف عقل الطفل ووجدانه، فإن الإستراتيجية الإعلامية هنا سوف تتمكن من بناء طفل سليم العقل، صحيح البنيان، مؤمن بربه، حريص على حقوقه، متفان في واجباته. (2)

❖ **هوامش البحث:**

1. إبراهيم سعد الدين (1988)، "**تأثير المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية على طفولة الخليج**"، الإمارات العربيةالمتحدة، ص.**120**.
2. محي الدين عبد الحليم (1999)، "**الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل**"، مصر،ص.**98**.
3. البشر خالد بن سعود (2003)، "**مشاهدة أفلام العنف والإباحية وعلاقتها بارتكاب الجريمة في الوطن العربي**"، السعودية: الأمانة العامة لمجلس وزراء داخلية العرب، ص.**56**.
4. الدلمي حميد (2002)، "**علم اجتماع الإعلام، رؤية سوسيولوجية مستقبلية**"،الاردن: دار الشروق للنشر والتوزيع،ص.**77**.
5. دي فلور، بال روكاخ، (1994)، "**نظريات الإعلام**"، ترجمة محمد ناجي،الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع،ص.**136**.
6. حجاب محمد (2004)، "**المعجم الإعلامي**"، مصر: دار الفجر للنشر والتوزيع،ص.**102**.
7. باسرده أحمد (1999)، "**علم الاجتماع الإعلامي**"، الجمهورية اليمنية: مركز عبادي للدراسات والنشر،ص.**86**.
8. ناهد باشطح (2010)، "**الطفل ومسؤولية وسائل الإعلام**" ،السعودية: جامعة نايف للعلوم الأمنية،ص.**114**.
9. عبد الحميد محمد (1994)، "**نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**"، مصر: عالم الكتب، ص.**94**.
10. عمارة بثينة حسنين (2000)، "**العولمة وتحديات العصر**"، مصر: دار الأمين،ص.**46**.